العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
إذاعة الكفيل

سلسلة من حلقات برامج إذاعة الكفيل

صوت المرأة المسلمة

رفيقةُ الزَّهراء فِضَّة (رضوان الله عليها)

إعداد

آيات حسون

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
إذاعة الكفيل

كربلاء المقدسة
FM-95.3MHZ
النجف الأشرف
FM-103.9MHZ
ذي قار
FM-95.3MHZ
radio@alkafeel.net

الكتاب: رفيقة الزهراء فضة عليها السلام.
الإعداد: آيات حسون.
المونتاج الإذاعي: سرى المسلماني.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة/ شعبة إذاعة الكفيل.
التصميم: علاء سعيد الأسدي.
الإخراج الطباعي: شيماء سامي.
التدقيق اللغوي: موفق هاشم الرحال.
المطبعة: مطبعة دار الكفيل.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠
شعبان ١٤٣٥- حزيران ٢٠١٤م

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمدٍ وآله الطاهرين وسلامٌ على أصحابه البررة المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين الى قيام يوم الدين.

أما بعد:

لايخفى أنَّنا لازلنا بحاجة الى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تضمنتها رسالة الإسلام لبناء الفرد بناءً فعلياً حقيقياً ليكون انطلاقة سليمة لبناء ذلك الكيان الإنساني الشامخ الذي ماهو إلّا اللبنة الأُولى لبناء مجتمع إسلامي راسخ البنيان، عتيد المراسي.

لذا ومساهمةً في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة المسلمة كسبيل للوصول الى ذلك وقد أخذت هذه البرامج طريقها الى أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الإنترنت العالمية صوتاً ولأجل تعميم الفائدة إرتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابياً الى أيدي الذين لم يسعفهم الوقت لسماعها وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها كراريساً.

الحلقة الأولى

مَنْ هي فِضَّة؟

مَن هي فِضّة؟

فضّة...سمراءٌ مليحةُ الوجهِ عذبة الكلام صاحبة وجهٍ رؤوف وقلب رحيم وقريحة جذابة وذوق ظريف، وقد أظهرت من نفسها ٱستعدادات جمّة تُنبئ عن عرق أصيل.

وُلِدَت فضّة في منطقة الجبال الحمراء والمرتفعة المسماة «بالنوبة» في شرق أفريقيا، وكان الأمام الصادق عليه السلام يذكرها بـ«النوبيّة»، ولا يوجد خبر دقيق في تأريخ وصول فضّة إلى المدينة، ولكن توجد عدة إحتمالات أحدها أنَّها كانت من أسرى الحرب.

في السنة الأولى أو الثانية بعد الهجرة كانت للمسلمين غزوات مع المشركين لم تكن في المناطق البعيدة مثل «النوبة»، ولكن كانت غزوات مع الأعداء قرب المدينة المنورة مع اليهود ومع قوافل قريش، وفي السنة الثانية من الهجرة كانت هناك عدة غزوات وفي هذه الغزوات أُسِّر بعضهم وربّما كانت فضّة بينهم، ويوجد ٱحتمال آخر أنَّها كانت هدية من قبل ملوك الدول الأخرى، فالنبي صلى الله عليه وآله أرسل مندوبيه إلى المناطق الأخرى عندما كان في المدينة المنورة وأرسل له ملوك تلك المناطق في المقابل هدايا يتقربون بها إليه صلى الله عليه وآله والمصادر التأريخية تدل على تجارة

العبيد المنتظمة من منطقة «النوبة»، وربما أتى التجار بهؤلاء العبيد من النوبة والمناطق الأخرى إلى الحجاز.

لقد جذبت شخصية رسول اللهﷺ العظيمة محبّيه ومشتاقيه من جميع الأنحاء كما يجذب المغناطيس الحديد، وما أن كانوا يرون حنان رسول اللهﷺ ورأفته، حتى كانت تتعلق أرواحهم به ولا يستطيعون أن يفارقوه بعد ذلك، والكثير منهم كان يفقد المأمن والملبس والمأكل ولكن الرسولﷺ كان يسعى دائماً لتلبية حاجاتهم الأولية، فقد أعطاهم مأوى في القرب من المسجد وأعطاهم من الغنائم لتأمين ٱحتياجاتهم، هؤلاء المهاجرون هم الذين ٱشتهروا بأصحاب «الصَفَّة»، والصَفَّة هو مكان مرتفع بعض الشيء أمرَ رسول اللهﷺ ببنائه بالقرب من المسجد للمهاجرين الفقراء والمحتاجين لمساعدات الرسول الأكرمﷺ والسبب في فقرهم أنَّهم فقدوا الأرض الزراعية التي كانت رأس المال الأصلي لهم آنذاك، وهذه المشكلة الإقتصادية ٱبتلت المهاجرين أيضاً ولكن مع إيثار أهل المدينة المنورة «الأنصار» ٱرتفعت هذه المشكلة ولم يبق ٱختلاف مشهود بينهم ولكن هذه المساعدات لم تشمل المهاجرين الذين دخلوا المدينة آحاداً فأهل بيت رسول اللهﷺ أيضاً كانوا يعانون من ضيق المعيشة ومشقّات الحياة خاصةً أمير المؤمنين وفاطمة الزهراءعليها السلام

حتى أثّرت الرَّحى على يد الزهراء عليها السلام وجرحتها، فقالت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: «**والله أني أشتكي يدي مما طُحِنَ بالرَّحى**»، وكان عند النبي صلى الله عليه وآله أسارى فطلب منها الإمام علي عليه السلام أن تطلب من النبي صلى الله عليه وآله خادماً، فدخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّمت عليه ورجعت فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما لكِ؟**» قالت عليها السلام: «**والله ما أستطعت أن أُكلّم رسول الله من هيبتهِ**»، فانطلق الإمام علي عليه السلام معها إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال لهما صلى الله عليه وآله: «**جاءت بكما حاجة؟**» فقالت فاطمة الزهراء عليها السلام: «**قد مَجُلَت يدايَ من الرَّحى، ليلي جميعاً أُدير الرَّحى حتى أُصبح وأبو الحسن يحمل حسناً وحسيناً**»، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «**يا فاطمة والذي بعثني بالحق إنّ في المسجد أربعمائة رجل ما لهم طعام ولا ثياب ولولا خشيتي خصلةً لأعطيتكِ ما سألتِ...يا فاطمة أَوَ لا تريدين خيراً من الخادم؟**»، فقال الإمام علي صلى الله عليه وآله: «**قولي بلى**»، قالت: «**يا أباه خيراً من الخادم!**»، فقال صلى الله عليه وآله: «**تسبّحين الله عزَّ وجلَّ في كل يوم ثلاثاً وثلاثين مرة وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين مرة وتكبّرينه أربعاً وثلاثين مرة فذلك مائة باللسان وألف حسنة في الميزان، يا فاطمة إنَّكِ إن قلتها في صبيحة كل يوم كفاكِ الله ما أهمّكِ من أمرِ الدُّنيا والآخرة**»، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله قوله: ﴿**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ**

﴿عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلا مَيْسُورًا﴾[١].

فلما نزلت هذه الآية الكريمة أهدى رسول الله ﷺ جارية للسيدة الزهراء عليها السلام وسماها «فضّة»، وهكذا بدأت فضّة حياتها عند بنت رسول الله ﷺ، وكانت هذه الواقعة فرصة ثمينة في حياة فضّة رضي الله عنها، فأحسَّت بسرورٍ وفرح جمٍّ عندما علمت أنَّ رسول الله ﷺ اختارها لخدمة ابنته، وزاد فرحها لما خصّها الرسول ﷺ بعنايته وسماها «فضّة»، فاتخذت فضّة رضي الله عنها طريقها إلى بيت سيدة النساء بفرح وسرور ووجدت نفسها في بيت ابنة رسول الله ﷺ.

كان بيت فاطمة عليها السلام مجاوراً لبيت أبيها نبي الرحمة ﷺ، وكانت هناك نافذة بين بيت فاطمة عليها السلام وبيت رسول الله ﷺ، وكلما خرج رسول الله ﷺ من بيته اطّلع من النافذة على حال فاطمة عليها السلام، ولما دخلت فضّة رضي الله عنها بيت النبوة والولاية وجدت أمامها بيتاً متواضعاً مثل سائر بيوت المدينة، فتعجبت من بساطة ذلك المكان، وزاد تعجبها عندما رأت ثياب فاطمة والحسنين عليهم السلام في منتهى البساطة، فتنفست فضّة رضي الله عنها الصعداء، لأنَّها وجدت ضالتها، ولم يمضِ وقت طويل حتى أحسَّت بقرابة معنوية وروحية بينها وبين أهل بيت النبوة عليهم السلام

(١) الإسراء ٢٨.

ٱستمرت حتى شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام.

بعد قدوم فضّة رضي الله عنها، إلى بيت فاطمة عليها السلام ٱنقسم العمل والراحة بين فاطمة عليها السلام وفضّة رضي الله عنها وقالت فاطمة عليها السلام: «**أوصاني رسول الله أن تكون الخدمة لها يوماً ولي يوماً**»، على هذا أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله لفضّة فرصة للحياة وفرصة للراحة، وفرصة للعبادة فأصبحت فضّة رضي الله عنها حرة في العمل والراحة وعلى هذا فإنَّ الإستعانة بالخدم ليس ترفاً وترفيعاً، بل هو تعامل ومساعدة للطرفين، ومع الطريقة العادلة التي أجرتها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ٱجتنبت أقل ظلمٍ أو ٱستثمارٍ، لأنَّ ورود فضّة النوبيّة إلى بيت فاطمة عليها السلام كانت مشاركة في العمل ولم يكن ٱستثماراً كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخدم فاطمة ٱبنته جارية ٱسمها فضّة النوبيّة وكانت تشاطرها الخدمة**».

سلام الله عليكِ يا بضعة الرسول سلام الله عليكِ يا سيدة نساء العالمين سلام الله على مَن نورها وخُلقها من نور وخُلق رسول الله صلى الله عليه وآله.

الحلقة الثانية

دخولها إلى بيت الزهراء عليها السلام

دخولها إلى بيت الزهراء عليها السلام

مما زاد في إعجاب فضّة عليها السلام بأهل بيت النبوة عليهم السلام هو الزهد العلوي والعدالة الفاطمية، فرأت كيف حُرِم آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله من أقل الترفيهات المادية فقد كانت سيدة البيت الزهراء عليها السلام على جانب كبير من الزهد، فهي عرفت الحياة الدنيوية وأدركت الحياة الأخروية فلا عجب إذا قنعت باليسير اليسير من متاع الحياة واختارت لنفسها فضيلة المواساة والإيثار وهانت عليها الثروة وكرهت الترف والسرف، فلا عجب في ذلك، فهي بنت أزهد، الزهّاد وحياتها العقائدية ملازمة للزهد وحياتها الإجتماعية أيضاً تتطلب منها الزهد فهي أولى الناس بالسير على منهاج أبيها الرسول الزاهد العظيم صلى الله عليه وآله.

ومن الأمور التي أدت إلى زيادة حيرة فضّة عليها السلام عند دخولها البيت: هو الحيطان القصيرة والغرف الصغيرة والجرَّة والثياب البسيطة، فقد كان لفضّة عليها السلام تعامل وارتباط متين مع أهل البيت عليهم السلام، خاصة مع أمير المؤمنين عليه السلام، فبالإضافة إلى المساعدة في أمور المنزل كانت تعاونه أيضاً، فأحياناً كانت تحضّر له ماء الوضوء وأحياناً تعاونه في أعماله الشخصية أو تأخذ طعامه عليه السلام إليه أينما كان يعمل، وفي هذه المدة وبينما كانت تخدم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله حدثت قصص جديرة بالذكر

منها ما نقله سويد بن غفلة أنَّه قال: دخلتُ على عليٍّ عليه السلام وقت العصر فوجدته جالساً وبين يديه صحيفة فيها لبن حازر أجد ريحَهُ من شدة حموضته وفي يده رغيف أدّى قشار الشعير في وجهه وهو يكسر بيده أحياناً فإذا غلبهُ كسره بركبته وطرحه فيه فقال عليه السلام: «**أدنُ فأصبّ لكَ من طعامنا هذا**» فقلت: «إنّي صائم» فقال عليه السلام: «**سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من مَنَعَه الصوم من طعام يشتهيه كان حقاً على الله أن يطعمه من طعام الجنّة ويسيقه من شرابها**».

قال سويد بن غفلة: «**فقلت لجاريته وهي قائمة بالقرب منه ويحكِ! يا فضّة ألا تتّقين الله في هذا الشيخ؟ ألا تنخلون له طعاماً؟ مما أرى فيه من النخالة**»، فقالت فضّة رضي الله عنها: «**لقد تقدَّم إلينا أن لا ننخل له طعاماً**»، قال سويد: «**فأخبَرْتهُ ما قلت لها**» فقال عليه السلام: «**بأبي وأمي من لم يُنخَل له طعام ولم يشبع من خبز البرِّ ثلاثة أيام حتى قبضه الله عزَّ وجلَّ**»، وكانت إحدى وظائف فضّة رضي الله عنها هي أخذ الطعام إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ولهذا كانت معه فترة من الزمن، وقد تعرضت مراراً لأنتقاد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام عندما كانوا يرونه وهو يأكل الطعام البسيط بعد التعب الذي تحمله من عمل الفلاحة! ولكن فضّة رضي الله عنها كانت عالمة بمقام الزهد الذي وصل إليه أمير المؤمنين عليه السلام.

كيف كانت علاقة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام برفيقتها وخادمتها فضّة عليها السلام ؟

كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لم تظلم خادمتها أبداً فقد كانت تعطيها الفرصة للعبادة وتعطيها جميع الإمتيازات التي تحتاجها كما أوصاها رسول الله صلى الله عليه وآله، لكي تشاطر فضّة العمل وبهذه الطريقة تجد كل منهما الفرصة الكافية للعبادة والراحة والأعمال الأخرى، وليس هذا فقط بل كانت حرة أيضاً في اختيار نوع العمل الذي تريده؛ ذلك أنَّ الأعمال في بيت فاطمة عليها السلام كانت تنقسم إلى أعمال داخلية وخارجية، فالأعمال الداخلية كانت عبارة عن طحن القمح والشعير بالرَّحى وتوقيد النار لطهي الطعام وغسل الملابس والإعتناء بالأطفال، أما الأمور الخارجية كانت عبارة عن جمع الحطب وتقديم الطعام إلى أمير المؤمنين عليه السلام في مكان عمله، وهذه المشاركة في الأعمال دليل آخر على العدل الإلهي الحاكم في بيت سيدة النساء فاطمة عليها السلام، فقد ذكر الراوندي في كتابه عن سلمان أنَّه قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة وأمامها رحىً تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرَّحى دمٌ سائل والحسين عليه السلام في ناحية الدار يبكي فقلت: «**يا بنت رسول الله كفاكِ، وهذه فضّة!!** فقالت عليها السلام: **أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها**

يوماً ولي يوماً فكان أمس يوم خدمتها، قال سلمان: **إني مولى عتاقة ، إما أن أطحن الشعير أو أُسكت لكِ الحسين فقالت** عليها السلام: **أنا بتسكيته أرفق، وأنتَ تطحن الشعير فطحنتُ شيئاً من الشعير فمضيتُ وصليتُ مع رسول الله** صلى الله عليه وآله **فلما فرغتُ قلتُ لعليٍّ** عليه السلام **ما رأيت، فبكى وخرج ثم عاد يبتسم فسأله عن ذلك رسول الله** صلى الله عليه وآله **فقال** عليه السلام **دخلتُ على فاطمة وهي مستلقية لقفاها والحسين نائم على صدرها وأمامها الرَّحى تدور من غير يدٍ!!، فتبسَّم رسول الله** صلى الله عليه وآله **وقال يا عليّ أما علمت أنَّ لله ملائكة سيارة في الأرض يخدمون محمداً وآل محمد إلى أن تقوم الساعة؟»**، ومن الأحاديث التي تبين لنا قمة العدل وجمال معاملة فاطمة الزهراء عليها السلام مع فضّة النوبيّة رضي الله عنها حديث ذكره ٱبن حجر العسقلاني عن الأمام الصادق عليه السلام فقد ذكر عن أمير المؤمنين عليه السلام عن فاطمة عليها السلام أنَّها قالت لفضّة: «**أتعجنين أو تخبزين؟ فقالت: بل أعجن يا سيدتي وأحتطب**»، فالزهراء عليها السلام لم تعطها الفرصة في الراحة فقط بل خيَّرتها في ٱختيار نوع العمل الذي تريده فسلام الله على فاطمة.

دعاء فضّة رضي الله عنها

إنَّ الدُّعاء هو ٱتصالٌ بالرحمن ومناجاةٌ معه، وعندما يعجز الإنسان

من الصعود، لا بُدَّ له من براق يرفعه وهذا البراق هو الدُّعاء.

الدُّعاء هو كل ما يملكه المؤمن، ولكي يصل إلى الإجابة يجب أن يتجاوز عن لقلقة اللسان ويحتاج أيضاً إلى مقدمات روحية وكمالات لا بُدَّ أن يحصل عليها الإنسان منها: الإعتقاد بالربوبية الإلهية، والفقر إليه، والأمل في الإجابة قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ذهبت فضّة واحتطبت وبيدها حزمة فأرادت حملها فعجزت فدعت بالدُّعاء الذي علّمها إياه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو: يا واحد ليس كمثلهِ أحد تُميتُ كل أحد وأنت على عرشك واحد لا تأخذه سنة ولا نوم، فجاء أعرابي فحمل الحزمة إلى باب فاطمة عليها السلام**»، لقد عَلَّمَ رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الدُّعاء لفضّة النوبيّة رضي الله عنها لأنَّه علم بالمرحلة التي وصلت إليها فضّة من عمق صفاءها وخلوص باطنها ولهذا فقد علَّمها هذا الدُّعاء كي تدعو به كلما وقعت في معضلة عجزت عن حلها.

الحلقة الثالثة

إتّباعها نهج أهل البيت عليهم السلام

إتّباعها نهج أهل البيت عليهم السلام

لقد تربَّت فضّة عليها السلام تحت يد الأولياء عليهم السلام، حتى وصلت إلى أعلى المقامات المعنوية واستطاعت أن تخطو معهم بعض خطاهم، ومن النماذج الدالة على ذلك هو قصة الإطعام التي رافقت فضّة عليها السلام بها أهل البيت عليهم السلام في محنتهم ووصلت إلى مقام الأبرار جزاءً على ذلك، وقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا۞ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا۞ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا۞ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا۞ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾[1].

وقد ورد في تفسير هذه الآيات ما رُوي عن ابن عباس أنَّه قال: «أنَّ الحسن والحسين مَرِضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناسٍ معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديكَ نذراً فقال علي عليه السلام **إن بَرِئَ وَلَداي مما بهما صمت ثلاثة أيام شكراً وقالت فاطمة عليها السلام: إن برأ ولَدَاي مما بهما صمت لله ثلاثة أيام شكراً، وقالت جارية يقال لها فضّة: إن برئ سيداي مما بهما صمت ثلاثة أيام شكراً لله، فألبس الله الغلامين لباس**

(١) الإنسان: ٥ – ١٠.

العافية وليس عند آل محمد قليلٌ ولا كثير فٱنطلق أمير المؤمنين عليه السلام إلى شمعون الخيبري اليهودي فٱستقرض منه ثلاثة أصواع من شعير فقامت فاطمة عليها السلام إلى صاعٍ فطحنته وٱختبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرص ووضعوها بين أيديهم ليفطروا إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب وقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، مسكينٌ من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمعه علي عليه السلام فقال:

فـاطـمُ ذات المـجـد واليقين
يـا بـنـت خـيرالـنـاس أجمعين
أمـا تـريـن الـبـائـس المسكين
قـد قـام بالباب لـه حنين
يشكو إلى الله ويسـتكين
يشـكو إلـينا جائعاً حزين
كـل ٱمـرئ بكسبه رهـين
وفـاعـل الخـيرات يسـتبين
موعـده جنـَّة عليـّين
حـرَّمها الله على الضـنين[1]

(١) الضنين: البخيل

فقالت فاطمة عليها السلام: أمرُكَ سمعٌ يا ٱبن عمّي وطاعة، فأعطوه الطعام ومكثوا ليلتهم لم يذوقوا إلّا الماء، فلما كان اليوم الثاني أصبحوا صيّاماً فطحنت فاطمة عليها السلام صاعاً وٱختبزته فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم أتاهم يتيم فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، يتيمٌ من أولاد المهاجرين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي وفاطمة عليها السلام فأعطوه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا إلاّ الماء القراح، فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة عليها السلام إلى الصاع الباقي فطحنته وٱختبزته فوضعت الطعام بين أيديهم فأتاهم أسير وقف بالباب يقول: السلام عليكم يا أهل بيت محمد أطعموني فأنّي أسير، أطعمكم الله من موائد الجنة فأثروه ومكثوا ثلاثة أيام لم يذوقوا سوى الماء، فلما كان اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم أخذ علي عليه السلام الحسن بيده اليمنى والحسين باليسرى وأقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فلما أبصرهم النبي صلى الله عليه وآله قال: يا أبا الحسن من أشدّ ما يسوءني ما أرى بكم، وقام فٱنطلق معهم فرأى فاطمة عليها السلام في محرابها قد ٱلتصقت بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: خذها يا محمد هنّأك الله في أهل بيتك، فأقروه السورة: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا۞ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا۞ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالا وَسَعِيرًا۞ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[1]»، فالمقام الذي وصلت إليه فضّة رضي الله عنها أي مقام الأبرار لم تصل إليه إلّا باتباعها لأحكام أهل البيت عليهم السلام وليس ذلك فقط بل لأنَّها أخلصت نيَّتها لله كسائر أهل الكساء عليهم السلام، وأيضاً لأنَّها أيقنت أنَّ رضا الله في متابعة أهل بيت رسول الله عليهم السلام، وهذا ما جعلها تليق للوصول إلى ذلك المقام الرفيع، ولم تنحصر فضائل فضّة رضي الله عنها التي حصلت عليها جزاء متابعتها لآل البيت عليهم السلام بهذه الفضيلة، بل هناك الكثير من الآيات القرآنية التي نزلت في شأن أمير المؤمنين عليه السلام لم تخلو منها فضّة رضي الله عنها وهذا دال على متابعتها وخلوصها ومودّتها لهم وهذا واضح في صبرها على الجوع في الأيام الثلاثة التي تابعت مواليها على إطعام المسكين واليتيم والأسير، فقد كانت جائعة لما جاع أهل البيت عليهم السلام وكانت عطشانة لما كانوا عطاشى ولم تنم حتى يناموا وصامت لما صامّوا.

لذا فإنَّ التعرف على الدرب الذي سارت فيه فضّة رضي الله عنها للوصول إلى المقامات الرفيعة يُبيِّن للنساء في عصرنا الحاضر السبيل إلى الله، وكيفية

(١) الإنسان: ١ـ ٥.

الوصول إلى قمم المعرفة والشرافة، والسبيل إلى ذلك ليس إلاّ بمتابعة أهل البيت عليهم السلام، ولكن لا بُدَّ أن نأخذ بعين الإعتبار أنَّ متابعتها لم تكن تقليداً أعمى، بل كان لوجه الله تعالى وقد آمنت فضّة عليها السلام بذلك وعلى هذا تابعتهم متابعة صادقة وخاضعة، ولهذا كان عملها مصداقاً لوجه الله تعالى.

وفاؤها عليها السلام بالنذر

ومن الأمور التي جعلت فضّة عليها السلام تصل إلى مقام الأبرار «الوفاء بالنذر»، فعادةً يتوجه الإنسان إلى الله عزَّ وجلَّ في المصائب وما أن ينجو منها حتى ينسَ الله جلَّ وعلا، والنذر هو الإستعانة بالله تعالى لحلّ المشاكل التي عجز الإنسان عن حلها، والوفاء بالعهد والنذر هو الإمتثال لأوامر الله والتخلف عن أداء النذر هو الغفلة عن الله، ولهذا يوجد اٰرتباط وثيق بين الوفاء بالعهد والوصول إلى الشرافة المعنوية، والميزة الأخرى من مميزات الأبرار التي وصلت إليها فضّة عليها السلام هي الخوف من يوم الحساب؛ لأنَّ الأنسان مهما كان شاكراً لا يستطيع أداء حق العبادة لله سبحانه وتعالى وهذا النقص والضعف موجود دائماً في عبادة البشر، وكانت فضّة عليها السلام عالمة بعجزها في أداء حق العبادة فكانت

تخاف يوم الجزاء ولهذا ٱستطاعت أن تُعين الضعفاء طوعاً، وبعد هذه الحادثة الفريدة التي مرّت بها فضّة رضي الله عنها من الإطعام والإيثار ونزول الآيات الكريمة نزلت مائدة الجنة جزاءً لهؤلاء الصائمين المؤثرين على أنفسهم، وهذه العناية الإلهية مهمة للغاية لأن فضّة رضي الله عنها ٱستطاعت أن تعلم ثمرة عملها العظيم في هذه الدُّنيا وقد قدّر الله سبحانه وتعالى عملهم بإنزال تلك الآيات وقد جزاهم بالشراب الممزوج بالكافور حيث قال تعالى: ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**﴾[1].

إنَّ ذكر الجزاء يؤثر تأثيراً عظيماً في نفسية وبناء شخصية الإنسان وهـذا الأمـر أثّـر على فضّة رضي الله عنها وحرّضها على الإستمرار في طريق الصلاح.

(١) الإنسان ٦.

الحلقة الرابعة

دورها بعد وفاة الرسول ﷺ

دورها بعد وفاة الرسول ﷺ

كانت السنة العاشرة من الهجرة هي السنة التي أحسَّت فيها فضّة بمرارة الحياة؛ فبعد رجوع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ٱشتد عليه المرض حتى وصل ذلك اليوم العصيب يوم الإثنين الثامن والعشرين من صفر في العام العاشر، ففي هذا اليوم الأسود كانت فضّة رضي الله عنها إلى جانب فاطمة عليها السلام تشاركها أحزانها والمصيبة التي نزلت عليها، فكانت تُطيِّب خاطر فاطمة عليها السلام وتَعِدُها بتحسّن أحوال رسول الله ﷺ ولكن شاء الله أن يقبض حبيبه إليه.. وهكذا غمضت عينا رسول الله ﷺ المباركتان إلى الأبد، وٱرتحل آخر رسول من رسل الله، ففي كل يوم من أيام الدُّنيا آباء يموتون وبناتهم يُفجَعن بهم ويبكينَ في مصابهم ويحزنَّ لفقدهم، إلّا أنَّ نسبة الحزن والبكاء وألم المصيبة تختلف بٱختلاف الآباء والبنات وبٱختلاف العلاقات الودية بين الأب وٱبنته فهناك عدد كثير من البنات اللاتي لا نصيب لهن من الآباء إلّا الأبوّة، فلا عطف ولا حنان، وكأنَّه لا معرفة بينهما، وهناك آباء يُمطرون بناتهم بالعطف والدلال والإحترام والمحافظة على البنت؛ لئلّا تنخدش عواطفها، و لئلّا يحدث شيء يمس بكرامتها، ويجد الأب من ٱبنته نفس الشعور المتبادل والإحترام والتقدير، وفي هذه الصورة تكون العلاقات الودّية

بين الأب وٱبنته وثيقة جداً، وعلى هذا تكون مصيبة الأب على قلب ٱبنته أليمة وعميقة.

إنَّ علاقة السيدة الزهراء عليها السلام بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله ومحبتها إياه لم تكن بدافع الأبوة والنبوة فقط، بل كانت السيدة فاطمة عليها السلام تعتبره أباً عطوفاً ووالداً رؤوفاً شفيقاً رحيماً وفي الوقت نفسه تعتبره رسول الله وسيد الأنبياء والمرسلين، فهي تحترم أباها كما تحترم المرأة المسلمة العارفة نبيّها وتعظّمه أقصى أنواع التعظيم وأعلى درجات التفخيم والتجليل، والسيدة الزهراء عليها السلام أعلم امرأة في الإسلام وأعرف أنثى بعظمة نبي الإسلام؛ لذلك كانت مصيبتها بوفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله قد سلبت منها كل قرار وٱستقرار وكل هدوءٍ وسكونٍ، فهي تعرف عظم المصاب ومدى تأثير الواقعة في الموجودات كلها، فلن تنسى فضّة رضي الله عنها تلك الأيام التي كانت تؤنس فيها وحيدة رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الأيام الحزينة حيث قالت: «**لما قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله ٱفتجعَ له الصغير والكبير وكَثُر عليه البكاء وعَظُم رزؤه على الأقرباء والأصحاب والأولياء والأحباب والغرباء والأنساب ولم نلقَ إلا كلَّ باكٍ وباكية ونادبٍ ونادبة ولم يكن في أهل الأرض والأصحاب والأقرباء والأحباب أشدّ حزناً وأعظم بكاءً أو ٱنتحاباً من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وكان حزنها**

يتجدد ويزيد، وبكاؤها يشتدّ فجلست سبعة أيام لا يهدأ لها أنين، ولا يسكن منها الحنين، كانت السيدة فاطمة تنادي وتندب أباها قائلة: وا أبتاه، وا صفياه وا محمداه، وا أبا قاسماه وا ربيع الأرامل واليتامى...مَنْ للقبلةِ والمصلّى؟ ومن لاٌبنتك الواهة الثكلى؟ ثم أقبلت تتعثر في أذيالها وهي لا تبصر شيئاً من عبرتها ومن تواتر دمعتها حتى دنت من قبر أبيها رسول الله ﷺ! فلما نظرت إلى الحجرة وقع طرفها على المئذنة فأغمي عليها! فتبادرت النسوة فنضحن الماء عليها حتى أفاقت فقامت وهي تقول: رُفِعَت قوّتي وخانني جَلَدي وشَمُت بي عدوّي والكمد قاتلي! يا أبتاه بقيت والهة وحيدة وحيرانه فريدة فقد اٌنخمد صوتي واٌنقطع ظهري وتنغَّصَ عيشي وتكدَّر دهري! فما أجد يا أبتاه بعدك أنيساً لوحشتي ولا رادّاً لدمعتي ولا معيناً لضعفي! فقد فَنِيَ بعدك محكم التنزيل ومهبط جبرئيل ومحل ميكائيل، اٌنقلبت بعدك يا أبتاه الأسباب وتغلّقت دونيَ الأبواب فأمّا الدُّنيا بعدك قالية وعليك ما ترددت أنفاسي باكية لا ينفذ شوقي إليك ولا حزني عليك يا أبتاه».

لقد كان حال فضّة رضي الله عنها كحال بقية محبي رسول الله ﷺ، فقد عمَّ الحزن والأسى فؤآدها على فقدان المدينة لأحبّ الخلق إلى الله، وبعد اٌرتحال رسول الله ﷺ بدأت الفرق الفكرية والسياسية المختلفة التي

كانت يترأسها المنافقون بالظهور، وبالرغم من ذلك فإنَّ فضّة اختارت طريق الحق، يا ترى ما هو باعثها على الإستقامة أمام الإنحراف وغصب حقوق المسلمين؟

إنَّ التأريخ قد أجاب عن هذا السؤال، فالسبب هو المعرفة العميقة التي حصلت عليها فضّة في حياتها مع أهل البيت، فهي لم تصدّق أنَّ امرأة عظيمة -كانت تسعى في إجراء العدالة إلى أبعد الحدود مع خادمتها، حيث كانت تشاطرها الخدمة وتعطيها حرية الإختيار- تكذب في مدعاها السياسي، أو أن يطمع الإمام علي في لذّات الدُّنيا، وهو الذي كان زاهداً إلى أبعد الحدود مع أنَّه كان مسلَّطاً على خزائن الدولة، كل هذه الأسباب تسببت في أن تختار فضّة الطريق الصحيح مثلها مثل أسماء بنت عميس وأم أيمن وغيرهن ممّن ثبتن على طريق الحق، وهذا الموضوع باعث للتأمل فهؤلاء النساء القلة لم ينخدعن بالإعلام الفكري للهيئة الحاكمة آنذاك، ويبرر لنا أيضاً مقام فضّة أكثر عندما نلقي نظرة على سائر الجواري مثل فضّة ومن طبقتها اللاتي كُنَّ في بيوت المدينة وكُنَّ مشغولات بأعمالهنَّ ولم يدخلن في الأمور السياسية آنذاك ولم تكن فضّة مَنْ تسكت أمام الظلم، فقد التحقت بعد وفاة رسول الله بالقلة من النساء اللاتي أبينَ كتمان

الحق ووقفن مع فاطمة وعلي عليهما السلام وساندنهم في معاناتهم، لقد كان أمام فضّة رضي الله عنها عدة طرق للوقوف أمام الغاصبين وإفشاء خططهم الشقية، وذلك من خلال ذكر أحاديث فاطمة الزهراء عليها السلام وخطبها التي أفشت فيها وجوه النفاق وأدلة الإنحراف من البيعة مع علي عليه السلام التي عقدوها في حجة الوداع، وقد ٱستخدمت فضّة رضي الله عنها هذه الطريقة جيداً حيث نقلت للناس آلام فاطمة رضي الله عنها بعد رحيل خاتم الأنبياء محمد ﷺ، فنقلت لسان حال السيدة فاطمة عليها السلام وهي تقول: «**أبتاه... يا أبتاه ٱنقطعت بك الدُّنيا بأنوارها وذوت زهرتها وكانت ببهجتك زاهرة...يا أبتاه! أمسينا بعدك من المستضعفين، يا أبتاه! مَنْ للأرامل والمساكين؟ يا أبتاه! بكتك الأملاك ووقفت الأفلاك، فمنبرك بعدك مستوحش، ومحرابك خالٍ من مناجاتك، وقبركَ فَرِحٌ بمواراتك، والجنّة مشتاقةٌ إليك وإلى دعائك وصلاتك**».

الحلقة الخامسة

معاصرتها لمظلومية أهل البيت عليهم السلام

معاصرتها لمظلومية أهل البيت عليهم السلام

شاهدت فضّة رضي الله عنها عن قرب مظلومية أهل البيت عليهم السلام، وسمعت كرات ومرات كلمات تعبّر فيها فاطمة الزهراء عليها السلام عن الشعور بالوحدة والإعراض عن الناس والظلم، كل هذه المشاهدات أدت إلى ٱزدياد الوعي العميق لدى فضّة رضي الله عنها حتى ٱستطاعت أن تقف إلى جانب فاطمة عليها السلام، وتدافع عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وهي طبعاً لم تكن إلّا خادمة جيءَ بها من مكان بعيد للخدمة في المدينة المنورة، ولكن خدمتها لأهل البيت عليهم السلام ومصاحبتهم لفترة طويلة جعل منها شخصية محبوبة عند الجميع، ولكنها لم تكن تبالي بأن تفقد هذه المنزلة الإجتماعية في الدفاع عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكانت تعلم أنَّه بمجرد فقدانها للمكانة الإجتماعية سوف تسعى الحكومة لمحو وجودها ولكن كل هذا لم يهن عزمها وإرادتها، فٱختارت فضّة رضي الله عنها طريقها وتحملت الصدمات في سبيل هدفها، ولم تترك أهل البيت عليهم السلام في أصعب الظروف.

ٱجتمع عدد من الرجال والنساء في بيت أمير المؤمنين عليه السلام بعد البيعة وهكذا تبدَّل بيت أمير المؤمنين عليه السلام إلى مقرٍّ لأصحابه وكانت فضّة رضي الله عنها حاضرة بين هذا الجمع، وقفت أمام الغاصبين بجرأةٍ وشجاعةٍ مع وعي سياسي قويّ، قامت بالإحتجاج عليهم وتحدثت معهم عن ولاية

الإمام علي عليه السلام، وكان موقفها السياسي صادقاً وباعثاً للإعجاب عندما جاءت العصابة لإخراج الإمام علي عليه السلام ليبايع، وقد سمعت منهم التهديد بإحراق البيت وكل من فيه من آل رسول الله صلى الله عليه وآله، وما كانت السيدة فاطمة عليها السلام تنتظر أن ترى في حياتها يوماً كذلك اليوم ومأساة كتلك المأساة، وإن كان أبوها الرسول صلى الله عليه وآله قد أخبرها بذلك إجمالاً وتفصيلاً، ولكن السماع شيء والرؤية شيء آخر وتأثير المصيبة يختلف سماعاً ورؤية، كما أنَّ السيدة فاطمة عليها السلام كانت قد سمعت من أبيها الرسول صلى الله عليه وآله، أنَّ الأمور سوف تنقلب عليها وأنَّ الأحقاد سوف تظهر بعد وفاته صلى الله عليه وآله، فإنَّها قد شاهدت بعينها تلك الأحداث، فقد هجم القوم على عرينها ليُخرجوا زوجها من ذلك البيت الذي ما كان الرسول صلى الله عليه وآله يدخله إلّا بعد الإستئذان من فاطمة عليها السلام.

إنَّ موقف دخول العصابة والهجوم على البيت، يسلب من العائلة كل ٱستقرار وهدوء، فالخوف والرعب والإضطراب يبلغ أشدّه، وفي كل هذه المواقف الصعبة كانت فضّة رضي الله عنها أقرب شخصٍ إلى فاطمة الزهراء عليها السلام، إذ كانت السيدة فاطمة عليها السلام قبل هجوم القوم خلف الباب وقد عصَّبت رأسها بعصابة ولم يكن عليها خمار، فلما هجم القوم لاذت السيدة فاطمة عليها السلام خلف الباب؛ لتستر نفسها عن

أولئك الرجال، فعصروها عصرة شديدة وكانت هي حاملاً في الشهر السادس، صرخت السيدة عليها السلام صرخةً من شدة الألم، لأنَّ جنينها قُتِل من صدمة الباب، كما أنَّ المسمار قد نبت في صدرها من عصرة الباب، ٱستنجدت السيدة فاطمة عليها السلام بخادمتها فضّة رضي الله عنها وصاحت: «**يا فضّة إليكِ فخذيني وإلى صدركِ فٱسنديني والله لقد قتلوا ما في أحشائي**»، فأسرعت فضّة رضي الله عنها وٱحتضنت الزهراء عليها السلام إلى الحجرة، وفي تلك اللحظات كان القوم قد ألقوا القبض على الإمام علي عليه السلام وهم يريدون إخراجه من البيت، وهنا حالت السيدة فاطمة عليها السلام بين القوم وبين أن يُخرجوا زوجها بالرغم من الألم الشديد وٱضطراب الجنين في أحشائها وسقوطه، والمعروف أنَّ آلام الإجهاض أشدّ من آلام الولادة، فكانت حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله تئنُّ أنيناً يوجع كل قلب ويُبكي كل عين، فالطفل فارق الحياة وأمّـهُ تنظر إليه، وهذا كان أول ظلم في حقّ محمد وآل محمد عليهم السلام، وتتابعت بعد ذلك مظلوميتهم عبر التأريخ، وقد شكك البعض في هذه الحادثة ومنهم سليم ٱبن قيس ولهذا ذهب إلى سلمان وسأله:

قـال سليمُ: قلت يـا سـلمانُ

هل هجموا ولم يكُ اسـتئذانُ

فقال إي وعـزّة الجبـــار

ليس على الزهـراء من خمـارِ

لكنها لاذت بجنب الباب

رعـايـةً للســترِ والحجابِ

فمذ رأوهـا عصروها عصرة

كادت بنفسي أن تموت حـسرة

تصيحُ يا فضّة أســـندديني

فقـــد وربِّي قتلـوا جـنيني

لقد أحسَّت السيدة الزهراء عليها السلام بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله بالوحدة والغربة ونقض العهد من قبل الناس، حيث نسوا ما أوصاهم به الله في شأن ابنته، مما زاد في هموم الزهراء عليها السلام، وفي هذا الجو العصيب كانت فضّة رضي الله عنها من القلة اللاتي لم يتركن هذا البيت وكانت حافظة لسرِّ الزهراء عليها السلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن الإمام علي عليه السلام: «**لمّا رجعنا من مرقد رسول الله صلى الله عليه وآله صاحت فاطمة عليها السلام فسالتُها عن سبب صياحها فأخبرتني عن رؤيتها وقالت إذا توفيتُ لا تُعلِم إلا أم سلمة وأم أيمن وفضّة ومن الرجال العباس وسلمان وعمار والمقداد وأبا ذر وحذيفة ولا**

تدفنّي إلا ليلاً ولا تُعلم قبري أحداً»، يدلّ هذا الحديث أيتها القارئة الكريمة على المقربين من أهل البيت عليهم السلام في ذلك العصر المرير، وفضّة النوبيّة رضي الله عنها أحد هؤلاء ولم تحصل على هذا المقام إلّا لتحمّلها للمخاطر وعدم خشيتها من طريق الحق لقلة أهله، وجَعَلها هذا حافظة لأسرار الزهراء عليها السلام ورفيقة لدربها وأُذناً واعية لآلامها ومصائبها، ولكي نعلم مدى حب فضّة رضي الله عنها لسيدة النساء فاطمة عليها السلام يكفينا أن نعلم أنَّه ما ذكر ٱسم فاطمة عليها السلام أمام فضّة رضي الله عنها حتى دمعت عيناها ألماً وحزناً، والمثال البارز على هذا هو ما وقع بينها وبين ورقة ٱبن عبد الله في الحج، حيث سألها بعد أن سمع مقالها قائلاً: «**يا جارية إنّي لأظنك من مواليّ أهل البيت؟**» فقالت: «**أجل**»، فقال لها: «**ومن أنتِ من مواليهم؟**» قالت: «**أنا فضّة أَمَةُ فاطمة الزهراء عليها السلام بنت محمد المصطفى صَلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها**».

فلنتأمل كيف عرَّفت فضّة رضي الله عنها نفسها مع أنَّ ورقة ٱبن عبد الله سألها هل هي من مواليّ أهل البيت؟ وكانت تستطيع أن تجيب بنعم، ولكنها كانت تفتخر أن تكون خادمة لأهل البيت عليهم السلام! ولهذا كانت تعرّف نفسها بخادمة الزهراء عليها السلام، وكلما أرادت أن تذكر الزهراء عليها السلام كانت تقول: «**مولاتي الزهراء**»، وسألها بعد ذلك ورقة ٱبن عبد الله عن فاطمة

الزهراء عليها السلام وما حدث لها بعد وفاة ابيها، قال ورقة: «**فلما سَمِعَت كلامي أغرورقت عيناها بالدموع، أنتحبت باكية وقالت: يا ورقة هيّجتَ عَلَيّ حزناً ساكناً وأشجاناً في فؤادي كانت كامنة**».

لقد كانت فضّة رضي الله عنها تسعى دائماً لإظهارحبّها وولائها لسيدتها ومولاتها فاطمة الزهراء عليها السلام.

الحلقة السادسة

مواساتها عليها السلام للزهراء

مواساتها رضي الله عنها للزهراء عليها السلام

بعد رحيل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله كان حزن الزهراء عليها السلام يتجدد وبكاؤها يشتد ليلاً ونهاراً وهي لا ترقأ دمعتها ولا تهدأ زفرتها وكانت فضّة رضي الله عنها بجنب فاطمة الزهراء عليها السلام تواسيها وتشاركها أحزانها.

أما أهل المدينة فكان ردّ فعلهم أنَّهم أقبلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقالوا له: «يا أبا الحسن إنَّ فاطمة عليها السلام تبكي الليل والنهار فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فراشه ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معايشنا وإنَّا نخبرك أن تسألها إما أن تبكي ليلاً أو نهاراً»، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وهي لا تفيق من البكاء، فلما رأته سكنت هُنيئة فقال لها عليه السلام: «**يا بنت رسول الله إنَّ شيوخ المدينة يسألوني أن أسألكِ إمّا أن تبكينَ أباكِ ليلاً وإمّا نهاراً**»، فقالت عليها السلام: «**يا أبا الحسن ما أقلَّ مكثي بينهم وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم فو الله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله**»، فبنى لها أمير المؤمنين عليه السلام بيتاً في البقيع نازحاً عن المدينة وسمّاه بـ «**بيت الأحزان**»، وكانت عليها السلام إذا أصبحت قدّمت الحسن والحسين عليهما السلام أمامها وخرجت إلى البقيع باكية فلا تزال بين القبور باكية فإذا جاء الليل أقبل الأمام علي عليه السلام إليها وساقها بين يديه إلى منزلها، وكانت

السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في الأيام الأخيرة من حياتها طريحة على فراشها المتواضع، وقد أخذ الهزال منها كل مأخذ وما بقي منها سوى الهيكل العظمي فقط، وفي يومها الأخير وفي ساعة من ساعات ذلك اليوم نامت السيدة فاطمة عليها السلام وإذا بها ترى أباها رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، ولعل تلك المرة هي الأولى والأخيرة التي رأت فيها الرسول صلى الله عليه وآله في المنام، رأت أباها في قصرٍ من الدرِّ الأبيض فلما رآها قال صلى الله عليه وآله: «**هلمّي إليَّ يا بُنية فإني إليكِ مشتاق فقالت: والله إني لأشدُّ شوقاً منكَ إلى لقائك، فقال لها: أنتِ الليلة عندي**»، فانتبهت من غفوتها واستعدت للرحيل إلى الآخرة، فقد سمعت من أبيها الصادق المصدّق صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**من رآني فقد رآني**» فلا مجال للشك والتردد في صدق الخبر، وبعد أن فتحت عينها واستعادت نشاطها قامت لأتخاذ التدابير اللازمة ولعلها كانت في صحوة الموت.

أما فضّة رضي الله عنها فقد كانت ترافقها في تلك السويعات الأخيرة من حياتها وكانت تحس بمدى انشغال قلب الزهراء عليها السلام في تلك اللحظات فهي مسرورة بالموت الذي سوف يحل بها؛ إنَّها ستستريح من هموم الدُّنيا وغمومها وتلتحق بأبيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، حيث الرفيق الأعلى والدرجات العلا في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر، ولكنها من

ناحية أخرى يضطرم قلبها؛ لأنَّها سوف تترك زوجها العظيم وكفؤها الكريم وحيداً غريباً في هذه الحياة القاسية بلا ناصر ولا معين سوى الله تعالى، فلقد كانت الزهراء عليها السلام خير محامية ومدافعة لزوجها في تلك الأحداث، ومما كان يؤلمها في تلك السويعات أكثر وأكثر وكان يضغط على قلبها أنَّها تفارق أطفالها الصغار، فلقد كانت أكثر أُمهات العالم حباً وشغفاً على أطفالها الأعزاء وأنَّ من جملة أسمائها «**الحانية**»، لأنَّها ضربت الرقم القياسي في الحنان والعطف على أولادها، وأنَّها عليها السلام كانت تعيش هذا الإحساس المؤلم إحساس تَركِها أفلاذ كبدها أهدافاً لسهام هذا الدهر الخؤون الذي لا يرحم كبيراً ولا صغيراً ولا وضيعاً ولا شريفاً، خاصةً وأنَّها قد سمعت من أبيها الرسول صلى الله عليه وآله مرات عديدة أنَّ آلَ رسول الله هم المستضعفون وأنَّهم سوف يرون أنواع الإضطهاد وألوان المصائب كما شاهدت هي ذلك بعد وفاة أبيها الرسول صلى الله عليه وآله، ورغم انشغال قلب الزهراء عليها السلام في تلك اللحظات الأخيرة من حياتها أقبلت تزحف أو تمشي متكئة على الجدار تارة وعلى فضّة تارة أخرى نحو الموضع الذي يوجد فيه الماء من بيتها وشرعت تغسل أطفالها بيديها المرتعشتين.

لنقف أختي القارئة وقفة نبكي على هذه السيدة العظيمة التي

قد ٱقترب أجلها وهي تلمس رؤوس أطفالها وأبدانهم النحيفة! وما يدرينا أنَّها حينذاك كانت تبكي بصوت خافت وتتقاطر الدموع من جوانب عينيها الغائرتين وتسيل على وجهها لتغسل الذبول المستولي عليه، وفي اللحظات المؤلمة الأخيرة دخل الإمام علي عليه السلام البيت وإذا به يرى عزيزته قد غادرت فراش العلة وهي تمارس أعمالها المنزلية رَقَّ لها قلب الإمام عليه السلام حين نظر إليها وقد عادت إلى أعمالها المتعبة التي كانت تجهدها أيام صحتها، فلا عجب إذا سألها مَنْ سبب قيامها بتلك الأعمال بالرغم من ٱنحراف صحتها؟ أجابته بكل صراحة: «**لأنَّ هذا اليوم آخر يوم من أيام حياتي قمت لأغسل رؤوس أطفالي لأنَّهم سيصبحون بلا أم**»، سألها الإمام عليه السلام عن مصدر هذا النبأ فأخبرته بالرؤيا، فهي عليها السلام قد نعت نفسها إلى زوجها بما لا يقبل الشك، ومن جملة الوصايا التي أوصت بها السيدة الزهراء عليها السلام الأمام علي عليه السلام: «**أن يُشيَّع جثمانها ليلاً وتُجرى مراسيم التشييع من التغسيل والتكفين والصلاة والدفن في جوٍّ من الكتمان وأن لا يشترك في تشييع جنازتها إلا أفراد لم تتلوث ضمائرهم ولم تسودّ صفحاتهم بالإنحراف، أفراد كان موقفهم تجاه السيدة فاطمة عليها السلام موقفاً إيجابياً مشرفاً وهم من الرجال العباس وسلمان المحمدي وعمار بن ياسر والمقداد وأبو ذر الغفاري وحذيفة، ومن النساء**

أم سلمة وأسماء بنت عميس وأم أيمن وفضّة»، وكانت فضّة عليها السلام أقرب شخص إلى فاطمة الزهراء عليها السلام ساعة الإحتضار، فهي تحكي لنا ما حدث في تلك الساعة فتقول: «**ٱنتقلت السيدة الزهراء عليها السلام إلى فراشها المفروش في وسط البيت وٱضطجعت مستقبلة القبلة حانت ساعة الإحتضار وحالة النزع وٱنكشف الغطاء ونظرت السيدة فاطمة عليها السلام نظراً حاداً ثم قالت: السلام على جبرائيل، السلام على رسول الله، اللهم مع رسولك، اللهم في رضوانك وجوارك ودارك دار السلام ثم قالت: أترون ما أرى؟ فقلنا لها: ما ترين؟ قالت: هذه مواكب أهل السماوات، هذا جبرائيل وهذا رسول الله يقول يا بنية أقدمي فما أمامكِ خير لكِ، وفتحت عينيها ثم قالت وعليكَ السلام يا قابض الأرواح، ثم أغمضت عينيها ومـدَّت يديها ورجليها وفارقت الحياة**»، لقد ماتت فاطمة الزهراء عليها السلام شهيدة الإضطهاد قتيلة الظلم والإعتداء وفَقَدَ الإمام عليه السلام بفقده شريكة حياته وأحبّ الناس إليه وإلى رسول الله، فَقَدَ سيدة في ريعان شبابها ومقتبل عمرها ونضارة حياتها فَقَدَ سيدة ٱنسجمت معه ديناً ودنيا وآخرة.

الحلقة السابعة

زواج السيدة فضّة رضي الله عنها

زواج السيدة فضّة

بعد شهادة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام انهدمت دعامتي الإسلام «الرسول صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام»، وازدادت الضغوط لمحو تأثير أهل البيت عليهم السلام، وأصبح أمير المؤمنين عليه السلام والأقلية من أصحابه عرضة للعداوة، ولكن فضّة رضي الله عنها بقيت المرافقة الأبدية لأهل البيت عليهم السلام في ذلك العصر الغريب وتلك الفترة الحساسة، بقيت عند أمير المؤمنين عليه السلام واعتنت بأطفال فاطمة عليها السلام، وفي هذه الأثناء استعدت فضّة بعد أن حثّها أمير المؤمنين عليه السلام للحياة الزوجية، وبعد إشارة من أمير المؤمنين عليه السلام تزوجت فضّة من أبي ثعلبة الذي كان من أهل الحبشة بعد رحيل فاطمة الزهراء عليها السلام وثمرة هذه الزيجة كان ولدٌ واحدٌ فقط، ولكن لم تدم حياتها الزوجية مع أبي ثعلبة فقد توفي بعد مدة قصيرة وبقيت فضّة رضي الله عنها وابنها وحيدة بعد فراق أبي ثعلبة، ومرة أخرى زوّجها أمير المؤمنين عليه السلام برجل كان يسمى بـ «مليك الغطفاني» وفي هذا الحين توفي ابن فضّة رضي الله عنها، وكان لفضّة رضي الله عنها أبناء من زواجها الثاني وكانوا فخراً وقرة عينٍ لها، كانوا كأمهم من الشيعة الموالين ورثوا من أمِّهم فضائل كحفظ القرآن واستجابة الدُّعاء وصفاء الضمير والزهد والتقوى.

كان لفضّة رضي الله عنها من الأولاد أربعة «داود ومحمد ويحيى وعيسى»

وكان لها ٱبنة واحدة تدعى «مسكة» لم يذكرها التاريخ مثلما ذكر ٱبنتها «شهرة» حفيدة فضّة عليها السلام، إذ كانت لها فضائل وكمالات كحفظ القرآن الذي أبقى ٱسمها خالداً عبر التاريخ، كما أنَّ فضّة عليها السلام لم تتخلى عن مسؤوليتها تجاه تربية أبناءها رغم جميع الظروف السياسية الصعبة والخدمة في بيت الإمامة، إذ ربَّت أبناءها تربية سليمة أينعت ثمارها نسلاً بعد نسل، فكانوا حفظة للقرآن مستجابي الدعوة وحصلوا على مقامات عالية من العفاف والتقوى والتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ حتى عَدَّهُم المؤرخون قدوات للأجيال القادمة، وقد روي عن مالك بن دينار أنَّه قال: «في طريق الحرم الإلهي رأيتُ في جموع الحج ٱمرأة ضعيفة على دابة نحيفة فلما توسطنا البادية كلَّت دابتها وعجزت عن إتيانها فرفعت المرأة رأسها إلى السماء وقالت: «**إلهي، لا في بيتي تركتني ولا إلى بيتك حملتني فوَعزَّتِكَ وجلالك لو فعل بي هذا غيرك لما شكوته إلا إليك**»، فإذا برجلٍ أتاها وفي يديه زمام ناقة فقال لها: ٱركبي فركبت وسارت الناقة كالبرق الخاطف فلما بلغت المطاف رأيتها تطوف فحلَّفتها من أنتِ؟ فقالت: «**أنا شهرة بنت مسكة بنت فضّة خادمة الزهراء عليها السلام**»، وكانت فضّة عليها السلام ذات ذكاء وعقل راجح وقدرة عالية على التعلم وكل هذه الإستعدادات ساعدتها على الإرتواء من مناهل أهل البيت عليهم السلام

وفي ضوء ذلك وصلت إلى درجات عالية واستطاعت أن تتقن الكثير من الأمور الإعتقادية والعلمية.

كانت فضّة تمتلك العديد من القدرات الذاتية المتمثلة بالقدرة على التعلّم والخضوع أمام الحق والجهد المتواصل والذاكرة القوية والقدرة العالية على الخطابة، والذي جعل فضّة متميزة عن غيرها هو أنَّها استفادت من هذه القدرات في سبيل الدفاع عن آل بيت رسول الله، فكان لفضّة استعداداً خارقاً تبلورَ في مجال آخر، وجعل منها قدوة في ذلك المجال ألا وهو حفظ القرآن واستعماله دليل على علم فضّة بالمعارف القرآنية خاصة أنَّها كانت تلميذة أهل البيت وكانت جاهدة في نشر معارفهم إذ كانت تستطيع الإستشهاد بالآيات القرآنية، ورُوي أنَّ أحدهم قد انقطع عن القافلة في البادية فوجد امرأة فقال لها: من أنتِ؟ فقالت: ﴿**وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾[1]، فسلَّم عليها وقال لها: ماذا تصنعين هنا؟

فقالت: ﴿**وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ**﴾[2]، فقال لها: أمِنَ الجنِّ أنتِ أم من الإنس؟

---

(١) الزخرف ٨٩.

(٢) الزمر ٣٧.

فقالت: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾[١]، فقال لها: من أين أقبلتِ؟

فقالت: ﴿يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[٢]، فقال لها: أين تقصدين؟

فقالت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾[٣]، فقال لها: متى انقطعتِ عن القافلة؟

قالت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٤]، فقال لها: أتريدين طعاماً؟

قالت: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾[٥]، فقدَّم لها الطعام وقال لها: هرولي.

قالت: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾[٦]، فقال لها: أُركبكِ؟

قالت: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٧]، فنزل وأركبَها، فقالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾[٨]، فلما أدركا القافلة قال لها

(١) الأعراف ٣١.
(٢) فصلت ٤٤.
(٣) آل عمران ٩٧.
(٤) ق ٣٨.
(٥) الأنبياء ٨.
(٦) البقرة ٢٨٦.
(٧) الأنبياء ٢٢.
(٨) الزخرف ١٣.

ألكِ أحدٌ فيها؟

قالت: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾(١)، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ﴾(٢)، ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾(٣)، ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾(٤)، فصاح بهذه الأسماء فإذا هو بأربعة شباب متوجهين نحوها فقال الرجل لها: مَنْ هؤلاء؟

قالت: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(٥)، فلما أتوها قالت لهم: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾(٦)، فكافؤوا الرجل بأشياء فقالت لهم: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(٧)، فزادوا عليه فسألهم من هذه المرأة؟ فقالوا هذه أُمُّنا فضّة عليها السلام جارية الزهراء عليها السلام ما تكلَّمَتْ منذ عشرين سنة إلّا بالقرآن.

---

(١) ص ٢٦.
(٢) آل عمران ١٤٤.
(٣) مريم ١٢.
(٤) النمل ٩.
(٥) الكهف ٤٦.
(٦) القصص ٢٦.
(٧) البقرة ٢٦١.

الحلقة الثامنة

فضّة رضي الله عنها والقرآن

فضّة عليها السلام والقرآن

كانت فضّة عليها السلام إحدى نساء التاريخ التي حفظت القرآن الكريم وحصلت على ثروة غنية من الأحاديث، وعندما رأت إعراض الناس عن الأحاديث الواردة في حق أهل البيت عليهم السلام وعن الحقائق الدينية قررت ألّا تستشهد بكلامها إلّا بالقرآن، وبعد وفاة بضعة الرسول صلى الله عليه وآله أجرت قرارها ذلك بحيث قيل عنها إنَّها لم تتكلم إلّا بالقرآن منذ عشرين سنة.

سافرت فضّة عليها السلام إلى الحج بعد شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام وقبل حكومة أمير المؤمنين عليه السلام، أي في أصعب جوٍّ سياسي لأهل البيت عليهم السلام، وفي هذا العصر سعى الكثيرون إلى تحريف الحقائق لكي يضمنوا بذلك دوام مصالحهم، وفي ذلك الجو المملوء بالحزن كانت فضّة عليها السلام التي تربَّت على يد الزهراء عليها السلام تحترق ألماً من فقدان الزهراء عليها السلام، وكانت تبحث دائماً عن الفرصة المناسبة لبيان الحقائق وما جرى من ظلم على أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت أيام الحج أفضل فرصة لهذا الهدف حيث يأتي المسلمون من جميع الأنحاء إلى مكة المكرمة وبدون ضغط من الحكومة، وفي ضوء الحرية كانوا يتبادلون الحديث والمعلومات عن المناطق الإسلامية، فاستفاد الرسول صلى الله عليه وآله من هذه الفرصة ومن هذا الإجتماع

العظيم لإعلان خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك فضّة عليها السلام قد اغتنمت هذه الفرصة وبدَّلتها إلى موضع لإعلان حمايتها لولاية أمير المؤمنين عليه السلام، إذ كانت تمتلك استعداداً خارقاً على البلاغة والفصاحة واستفادت من هذا النبوغ الذاتي في تجميع الناس حولها وإيصال خطاباتها لهم، وكان ورقة بن عبد الله أحد هؤلاء الحجاج الذين تأثروا بفصاحة فضّة عليها السلام وبلاغتها، إذ يروي ويقول: «خرجتُ حاجّاً إلى بيت الله الحرام راجياً لثواب الله ربِّ العالمين، فبينما أنا أطوف وإذا بجارية سمراء عذبة الكلام وهي تنادي بفصاحة منطقها وتقول: «**ربّ البيت الحرام والحَفَظَة الكرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام وربِّ محمد خير الأنام صلى الله عليه وآله البررة الكرام أن تحشرني مع ساداتي الطاهرين وأبنائهم الغرّ المحجّلين الميامين ألا فاشهدوا يا جماعة الحجاج والمعتمرين أنَّ مواليَّ خيرة الأخيار وصفوة الأبرار الذين علا قدرهم على الأقدار وارتفع ذكرهم في سائر الأمصار المرتدين بالفخار**»، ولما سمع ورقة بن عبد الله ما قالته فضّة عليها السلام علم مثل سائر الحجاج أنَّ هذه المرأة من أصحاب أهل البيت عليهم السلام ومحبي أمير المؤمنين عليه السلام، فتقدم نحوها وقال: يا جارية أني لأظنكِ من مواليّ أهل البيت؟ فقالت فضّة: «**أجل أنا فضّة أَمَةُ فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها**»، وهنا انتهز ورقة بن

عبد الله الفرصة ليسألها أسئلة كانت تدور في رأسه، وما ذكره التأريخ من كلام فضّة في جواب ورقة بن عبد الله إن دلَّ على شيء فإنَّه يدل على الفترة الصعبة والحرجة التي مرت على فاطمة الزهراء عليها السلام منذ رحيل أبيها إلى شهادتها، فقد ٱحتفظت فضّة رضي الله عنها بجميع تلك اللحظات في ذاكرتها، حتى إنَّها ذكرت الأشعار المنسوبة إلى فاطمة الزهراء عليها السلام والتي أنشدتها بعد رحيل أبيها صلى الله عليه وآله، فذكرت فضّة رضي الله عنها في حديث خبر رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وما جرى بعده، حتى وصلت إلى اللحظة التي وضع فيها علي عليه السلام حبيبته الزهراء عليها السلام في القبر ثم أنشد قائلاً:

أرى عِـلَلَ الدُّنيـا عليَّ كثيرةً

وصـاحبها حتى الممات عليلُ

وإنَّ افتقادي فاطمٌ بعد أحمد

دليلٌ على أن لا يـدوم خليلُ

ٱنطفأت شمعة حياة فضّة رضي الله عنها رفيقة الزهراء عليها السلام بعد أن قضت عمرها في متابعة آل البيت عليهم السلام ومرافقتهم، وٱرتحلت إلى الرفيق الأعلى، ودُفِنَتْ فضّة رضي الله عنها في مقبرة الباب الصغير في دمشق، ومرقدها يتقدم قليلاً قبر عبد الله ٱبن الأمام الصادق عليه السلام نهاية الناحية الغربية من المقبرة، حيث توجد غرفة صغيرة عليها قبة خضراء وجدارها من الحجر

الأسود ولحدها مغطى بقماشٍ أخضر، وكان أول زائر لقبر فضّةرضي الله عنها هي السيدة نفيسة بنت الإمام الصادقعليه السلام، إذ قامت بزيارة قبر السيدة زينبعليها السلام في سنة مئة وثلاث وتسعون للهجرة وذهبت بعدها لزيارة قبر فضّةرضي الله عنها.

لقد كانترضي الله عنها من الشخصيات التي ربَّتها فاطمة الزهراءعليها السلام، فصنعت منها نجمةً تتلألأ في سماء الإسلام، وبقيت فضّةرضي الله عنها وستبقى إلى الأبد نوراً في تاريخ البشرية.

لذلك علينا الإقتداء بهذه السيدة الفاضلةرضي الله عنها والسير على النهج الذي آتَّبعته في حبّها للزهراءعليها السلام وتمسّكها بما أخذته منهاعليها السلام من مفاهيم وأحكام ودروس وعبر، لنكون من الموالیات حقاً لآل البيتعليهم السلام، وبذلك نُرضي الله عزَّ وجلَّ ورسولهصلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار من ولده عليهم أفضل الصلاة والسلام أجمعين.

الفهرس

الحلقة الأولى/ مَنْ هيَ فِضّة؟.....٥
الحلقة الثانية/ دخولها إلى بيت الزهراء عليها السلام.....١١
الحلقة الثالثة/ إتّباعها نهج أهل البيت عليهم السلام.....١٧
الحلقة الرابعة/ دورها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.....٢٤
الحلقة الخامسة/ معاصرتها لمظلومية أهل البيت عليهم السلام ٣١
الحلقة السادسة/ مواساتها رضي الله عنها للزهراء عليها السلام.....٣٧
الحلقة السابعة/ زواج السيدة فضّة رضي الله عنها.....٤٣
الحلقة الثامنة/ فضّة رضي الله عنها والقرآن.....٤٣